أريد عيونًا ذهبيَّة

أريد عيونًا ذهبيَّة
الطبعة العربيَّة الأولى ٢٠٢١م
حقوق الطبع محفوظة

تأليف: ماريا محمد دعدوش
رسم الغلاف: باريسا بورحسيني

جبل عمَّان ناشرون
ص.ب. ٣٠٦٢، عمَّان ١١١٨١، الأردن
هاتف: ٥٥٥٩ ٤٦٤ ٦ ٩٦٢+
Email: info@JAPublishers.com
www.JAPublishers.com

رقم الإيداع: (١٦٠٨/ ٣/ ٢٠٢١)
ISBN 978-9923-12-059-0

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

I Want Golden Eyes
Copyright © Jabal Amman Publishers, 2021.
All Rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

طُبع في المطابع المركزيَّة (Central Press).

أريد عيونًا ذهبيَّة

تأليف: ماريا محمد دعدوش

جبل عمّان
Jabal Amman
PUBLISHERS
مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي • ARAB BANK
البنك العربي
ARAB BANK
أدب الأطفال
جائزة عبد الحميد شومان
لأدب الأطفال

١

مخالبُ خدشَتْني، أنيابٌ غُرِزتْ في كتفي، وأذرعٌ مجنَّحة كثيرة شدَّتني بعيدًا عن ذراعَيْ أمِّي. رفرفة أجنحة، ولعابٌ نَتِنٌ سالَ على وجنتي. تمزَّقَ قميصي، ومنه سقط على الأرض كتابي الذي أخفيتُه ما بين ثناياه. بعدها دماء ورماد...رمادي أنا. صرختُ بملء رئتيَّ: "لاااااا!" ثمَّ فتحتُ عينيّ. أنفاسي متسارعة، عرقٌ بارد بلَّلَ ما وراء أذنيّ، وكتابي مازال في يدي–الأعداد والأبعاد– للدكتور ذهني الكتبي.

قرصُ الميتابلور على معصمي ينبعث منه طيف الساعة، ٦:٠٣ صباحًا. كان بابا وديمة قد استَيقَظا.

نظرَتْ ديمة نحوي وقالت لي: "ديالة...سنُعاقَب لو تأخَّرنا. قومي فورًا. أمامنا انتظار ساعة عند نقطة التفتيش".

ديمة أختي، كعادتها كلَّ صباح، وقفت قرب المرآة تنزع بالملقط شعيراتٍ عنيدةً بزغَتْ ثانيةً مكان الحاجب البنفسجيِّ الذي رسمَتْه. بعدَها نثرت مسحوقًا بلَون الكيوي على وجنتَيها. يبدو أنَّ لون الكيوي هو الصَّيحة الدارجةُ هذا الشهر. حقنَ بابا دواءَه في وريده، وغمس كوب السيليكون في الدَّلو الذي أَلْصَقْناه على الجدار كي يتجمَّع فيه الماء المتسرِّب من مسام صخر الجدار. شقَّتُنا محفورة في صخر الأرض. تؤكِّدُ حكومتُنا أنَّ الماء المرتشحَ من الصخور صالحٌ للشُّرب، لكنَّ حكومتنا عادةً لا تُصدَّق في حرف. الجميع مستعدٌّ للخروج- ما عداي.

أجعلُ صفحات الكتاب تعضُّ على خصر سروالي، ثمَّ أسحبُ مطَّاط الخصر بقوَّة، فأشعر بالكتاب يضغطُ على بطني. أعقدُ مطَّاط الخصر عقدةً إضافيَّة حتَّى ينحصر الكتاب أكثر، فلا يقع منِّي في اللحظة الخطأ. لو حصل هذا، سأفقد حياتي في غضون لحظات. ليس مسموحًا لأحد هنا في الجُحر أن يقرأ كتبًا غير المقرَّرات المدرسيَّة. عقوبةُ مخالَفةِ ذلك هي الموت. أمَّا لي، فعدم القراءة هو موتٌ أيضًا.

أقفز عن الدفَّة التي يفترض أنَّها سريري إلى الأرض. الدفَّة مثبَّتةٌ على الحائط، ولا تحمل إلَّا الفَرشة. لا نحتاجُ إلى بطَّانيَّات هنا في باطن

الأرض، حيث الحرارة لا تنخفض عن ثلاثين درجةً مئويَّةً مهما كان الجوُّ باردًا هناك في الأعلى. الدفَّتان اللتان ينام عليهما بابا وديمة مثبَّتتان على الجدارَين المجاورَين أيضًا. بينما تعرضُ كرةُ العرض المعلَّقة في سقف الغرفة دعايةً لفُستانٍ من قصدير. كانَتِ الدعاية صامتةً؛ لأنَّنا أخرَسْناها بالأمس وقتَ النوم. الحمَّام وكرة العرض في السقف، ودفَّات النوم وطاولة الزينة التي تستخدمها ديمة مع المرآة هي كلُّ الأثاث الذي تحويه الشقَّة -٨٧٩ شقَّتنا. يشيرُ الرقم ناقص ثمانية "-٨" إلى الطابق الثامن تحت الأرض، و٧٩ هو ترتيبُ شقَّتنا في هذا الطابق. أسحبُ قميصًا عريضًا وطويلًا من تجويف الجدار الذي يحوي ملابسنا، وأزلِّقُ رأسي عبر قبَّته دون أن أفتحَ سحَّابه. أنظرُ إلى خصري لأتحقَّقَ أنَّ الكتابَ لا يبرز من تحت القميص، ثمَّ أتَّجه إلى باب الشقَّة مع ديمة وبابا لنخرجَ إلى "الزقاق -٨"، حتَّى ننضمَّ إلى مئات الذاهبين إلى عملهم.

"الزقاق -٨" هو الطريق الدائريَّة التي تصل ما بين الشقق الخمس مئة في طابقنا. يوجدُ فوق طابقنا ٧ طوابق، وتحته ٥٢ طابقًا. وتؤلِّفُ الطوابق الستُّون هذه ما نسمِّيه "الجُحر" حيث نتكدَّس نحن "المحدودين". الزقاق هو دائرةٌ كاملة في مركَزها "الجوف". والجوف هو التجويف في مركَز

طوابق الجُحر، وهو خالٍ إلَّا من مسلَّات معدِن النانو القويَّة التي تنزلقُ عليها المصاعد التي تصعد بنا نحو سطح الأرض، نحو كوارتزيا، مدينة القُبب المصنوعة من الكوارتز. اتَّجهنا نحو "الساحة -٨" حيث تنتظرُنا هناك نقطة التفتيش. كي تصلَ إلى كوارتزيا، عليك أن تركبَ المصعد. وحتَّى تركبَ المصعد، عليك أن تخضع للتفتيش. وكانت المشكلة في نقطة التفتيش هي حرَّاس خفافيش الكريفن.

"أسرِعا قبل أن تملأ تلافيف طابور الانتظار الساحة كلَّها". قالت ديمة وهي تسحبُني من ذراعي. أُمسِكُ بذراع بابا أنا الأخرى محاولةً أن أحثَّه على السرعة، وأنا على يقين أنَّ خطواته الصغيرة لن تُسرعَ به أكثر. المزيد من "المحدودين" يتدفَّقون خارج شققهم، ويزدادُ الزحام مع كلِّ ثانية. في الصباح نتَّجه نحن "المحدودين" جميعًا نحو المصاعد. "المحدودون" هم تعساء الحظِّ الذين سجَّلَ دماغهم يوم ولادتهم رقمًا أقلَّ من ١١١١. السعداء الذين يسجِّلُ دماغهم أعلى من هذا الرقم، ينالون عيونًا ذهبيَّةً من المركَز الوطنيِّ للقزحيَّات. يسكنُ ذوو العيون الذهبيَّة في كوارتزيا. يحصل أحيانًا أن يولَدَ طفلٌ بذكاءٍ مرتفع في أسر المحدودين، لكنَّ هذا لم يحصل في أسرتنا. بابا وديمة وأنا وماما رحمَها الله، كلُّنا من

المحدودين، ولا عيون ذهبيَّةً في أسرتنا. على أيِّ أساس توزِّع الأقدارُ الذَّكاء؟ الجينات؟ الغذاء؟ الصحَّة؟ أسئلة لم يَعُدْ أحدٌ يشغلُ نفسَه بها. الذي يشغل الجميع اليوم هو تسديد الفواتير الشهريَّة، والبقاء بعيدًا من قبضة الخفافيش.

وصَلْنا إلى الجسر الذي يصل ما بين زقاق شققنا وساحة المصاعد. تسلَّلتْ أشعَّة شمس من القبَّة الزجاجيَّة في الأعلى إلى داخل الجوف. يجعلُ وهجُ القبَّة حرَّاس خفافيش الكريفن التي تحوم فوقنا تبدو كأشباح سود مخيفة. أستندُ إلى تصوينة الجسر، وأنظرُ نحو قعر الجوف فلا يتبدَّى ذلك القعرُ في الظلام الدَّامس لباطن الأرض. وقعَ أمرٌ مخيفٌ هناك في الأسفل السحيق لا أذكره، لكنَّه يُثير القُشَعْريرة في نفسي كلَّما قطعتُ ذلك الجسر- أمرٌ أفشل في تذكُّرِه مهما حاولت، ولم يستطعْ حتَّى التنويم المغناطيسيُّ الذي خضعتُ له أن يخرجه من دُروج النسيان.

كانَتْ ساحةُ المصاعد آخر الجسر نصف ممتلئة. لو وصَلْنا بعد عشر دقائق من الآن، لوَجَدْنا الساحة مكتظَّةً بالمئات. اندَسَسْنا بسرعةٍ في الصفِّ الذي تلوَّى حول المصاعد، ووقتها فقط تنفَّسْتُ الصُّعَداء. أخرجتُ من جيبي كعكةَ الطاقة بطعم اللبن وسترات الكالسيوم،

وأعطيتُها لبابا. لم يعجِبْني أنَّه تناولَ حقنة الدواء دون أن يأكلَ. والآن حانَتِ اللحظةُ لأصحِّحَ ذلك. تناوَلَها بابا من يدي، ولمس ذقني بظَهر سبَّابته. يقولُ بابا شكرًا بسبَّابته بعد أن صارَ عاجزًا عن النطق بسبب المرض. قالَ طبيبُ الجُحر إنَّ لدَيه ما يُسمَّى بالتصلُّب اللويحيِّ العنقوديّ، وهو مرضٌ قديم، لكنْ بحلَّةٍ حديثة. كم أحزن لأجله! قبَّلتُ سبَّابته، وابتسمتُ له. كانت ديمة منشغلةً بمشاهدة الإعلان التجاريِّ الذي كانوا يعرضونه فوق رؤوسنا كلَّ صباح منذ عامين دون كللٍ أو ملل. شخصيَّتان افتراضيَّتان لهما شكلُ ملك جمال جزر القمر وملكة جمالها، يتعانقان على مرأى من سكَّان الطابق-٨، وفي الأثناء يقولُ صوت المعلِّق في الإعلان: "هل تريد أن تعيشَ برفاهية؟ بيتٌ عصريٌّ في أحلى جزيرة على الكرة الأرضيَّة. ليس عليك سوى أن تسجِّلَ اسمك في يانصيب أرض الأحلام". تردَّدتْ كلماتُ الإعلان بين جدران الجُحر الحجريَّة بصوتٍ يصمُّ الآذان. أصواتُ الإعلانات دائمًا طاغيةٌ في تجويف الجُحر، لا يسمعُ أحدُنا كلامَ الآخر هنا. لكنْ مَن يريدُ الكلامَ هنا وخفافيش الكريفن حولنا في كلِّ مكان؟ يتدلَّونَ من زوايا الجوف المظلمة، وينتظرون أن يخطئ أحَدُنا كي ينقضُّوا عليه. قلتُ

لديمة: "تبًّا للپروفيسور كريفن الذي اكتشفَ هذا الخفَّاش منذ عقود. لولاه لَمَا طوَّروا تلك المخلوقات المقيتة".

نظرَتْ ديمة نظرةً عفويَّة حولها متوجِّسة من أن يكون أحد حرَّاس الكريفن قد سمعنا. يتناقَلُ الناس أنَّ الخفافيش تسمعُ صوتَ نزول اللقمة في بلعوم بابا نحو معدته، لكنِّي أعتقدُ أنَّهم يُبالِغون. عندما اكتشفوا أوَّل خفَّاش كريفن عام ٢٠٠٨م، حسبوه أبشعَ مخلوقٍ على الأرض. يستحقُّ هذا اللقبَ بجدارة.

حرَّاس الكريفن هم مستَنسَخون. أعطاهم العلماء دماغًا بشريًّا وأذرعًا تحملُ أجنحةً وتنتهي بمخالب. لكثيرٍ منهم ذيلٌ طويلٌ جدًّا يستخدِمونَه كسَوط متى لزم الأمر. وجوهُهم هي تلافيف مقرفة من جلد مسلوخ. قد يكونُ لكلٍّ منها أنفٌ أو فمٌ أو عينان أو أذنان، لكنِّي لم أستطعْ يومًا أن أميِّز تضاريسها. تستقبلُ تلك التلافيف الموجاتِ الصوتيَّة التي يُطلقها السونار في دماغهم كي يدرسوا تحرُّكات ضحاياهم...نحن!

حانَ دورُنا للمسح الإلكترونيّ، فشعرتُ بحركةٍ في أمعائي الغليظة. هرَّبتُ مئات الكتب، وما زلت لم أتغلَّبْ على ذلك الخوف الذي يَعتَريني كلَّما مررتُ بنقطة تفتيش. تحقَّقَ الجهاز من جبهة بابا ثمَّ ديمة، وبعدَها

حان دوري. وقفتُ داخل تلك الدائرة البنفسجيَّة، ومرَّ الشعاع المكُّوكيُّ قرب جبهتي؛ فالحكومة تزرع في جباهِنا يومَ ولادتِنا شريحةً تحملُ كلَّ معلوماتنا- أسمائنا وأسماءِ والدَينا، وبالتأكيد رقم ذكائنا.

ارتفعَتِ الستارةُ الضوئيَّة الحمراءُ التي كانت تحولُ دون مروري، وصارَتِ الطريق نحو المصاعد مفتوحةً أمامي. قاومْتُ الرغبةَ في تثبيت الكتاب المخفيِّ في خصر بنطالي عندما مررتُ بحارس الكريفن القريب من المصعد. صرتُ أردِّدُ في نفسي قائلة: "لن تتحرَّك صفحاتُ الكتاب، ولن يرصده السونار". حاولتُ أن أتجاهلَ الصقيع الذي تسلَّلَ إلى أطراف أصابعي من الخوف. حشدتُ ثقةً لا أشعر فيها بخطواتي، ومشيت قربه حتَّى وصلتُ إلى باب المصعد المغلق حيث انتظرَني بابا وديمة ومئات المحدودين الآخرين. مؤكَّدٌ أنَّ الخفَّاش رصدَ سرعةَ نبضاتي، لكنَّ المؤكَّد أيضًا أنَّ كلَّ مَن يمرُّ بقربه تتسارعُ نبضاتُه خوفًا. اليوم أيضًا، لم يشكَّ الخفَّاش في شيء. اليوم أيضًا نجحتُ في تهريب الكتاب. لن أقلقَ بشأن الغد. غدًا هو يومٌ آخر.

وصل المصعدُ أخيرًا، وانطلق صوتُ شبح المصعد الآليِّ يقول: "وصل المصعد. الرجاء الدخول دون تزاحم. ستُغلَق الأبواب بعد

عشر ثوان، تسع، ثماني...“ كم تزعج أشباح الآلات الإلكترونيَّة عصبي السَّمعيّ! دخلتُ مع ديمة وبابا المصعدَ في موجةٍ بشريَّة قبل أن تنزلقَ حجرة الإيروجيل بنا على مسلَّة النانو القويَّة نحو الأعلى. لو حامَتْ قربَ وجهي مرَّةً مظلَّة إعلاميَّة فجأةً، وسألتني عن أسعد لحظات حياتي، لما فكَّرت ثانيةً واحدة: سأنظر إلى الكاميرا في المظلَّة، وأبتسم ابتسامةً عريضةً وسأجيبُ دون تردُّد: ”تلك الثواني الثماني والثلاثون التي أُمضيها على متن المصعد كلَّ صباح في طريقي نحو كوارتزيا“. عندي عادةٌ غريبةٌ كلَّما ركبتُ المصعدَ في الصباح، وهي أن أنظرَ نحو بقعة الضَّوء في القبَّة الزجاجيَّة في الأعلى، والتي تخترقها المسلَّة. وبينما تقتربُ كبسولة المصعد منها، أتخيَّلُ نفسي أنَّ هذه ستكون رحلتي الأخيرة على متن هذا المصعد، وأنَّ بقيَّة حياتي ستكون في الأعلى، في كوارتزيا. متى يتحقَّق ذلك؟